جامعـــة عين شمس
كليـــــــــــة الآداب
قسم الدراسات الفلسفية

حال الفناء بين الاعتدال والشطح في القرن الثالث الهجري

"الجنيد والحلاج نموذجاً"

رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير في التصوف الإسلامي

إعداد الباحث

باسل ماشع المطيري

إشـراف

الأستاذ الدكتور/ جمال المرزوقي
أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف المتفرغ
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

دكتورة / هويدا عبد الحليم
مدرس الفلسفة الإسلامية
بكلية الآداب– جامعة عين شمس

القاهرة ٢٠١٨م

جامعـــــة عين شمس

كليـــــــــــة الآداب

قسـم الدراسات الفلسفية

رسالة ماجستير

اسـم الباحث: باسل ماشع المطيري

عنوان الرسالة: حال الفناء بين الاعتدال والشطح في القرن الثالث الهجري "الجنيد والحلاج نموذجا"

الدرجة العلمية: ماجستير

لجنة المناقشة والحكم على الرسالة:

أ.د/ سيد عبد الستار ميهوب — **مناقشاً ورئيساً**

أستاذ الفلسفة الإسلامية المتفرغ – كلية دار العلوم – جامعة المنيا

أ.د/ عبد الحميد درويش — **منـاقشـــاً**

أستاذ الفلسفة الإسلامية – كلية الآداب – جامعة الإسماعيلية

أ.د/ جمال المرزوقي — **مشـرفـــاً**

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف المتفرغ – كلية الآداب – جامعة عين شمس

د/ هويدا عبد الحليم — **مشرفاً مشاركاً**

مدرس الفلسفة الإسلامية – كلية الآداب – جامعة عين شمس

الدراسات العليا

ختم الإجازة: أجيزت الرسالة: بتاريخ / /

موافقة مجلس الكلية موافقة مجلس الجامعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَإِلَيْهِ أُنِيبُ

صَدَقَ اللَّهُ العَظِيم

سورة هود الآية ٨٨

الإهداء

"رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ "

سورة النمل ١٩،

وكذلك قوله تعالى:"وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ "

سورة إبراهيم ٧

فإن من تمام شكر الله تعالى أن أذكر بالثناء، وألهج بالدعاء لمقام سيدي وشيخي وولي نعمتي الذي تولاني بالرعاية، وقدَّم لى الدعم طوال رحلتي في الدراسات العليا تحت مقامه، وحثَّني على مواصلة الدراسة وطلب العلم من"من المهد إلى اللَّحد"..

إلى مولاي الحسيب النسيب الشريف عضو المجلس الأعلى للطرق الصوفية ، وشيخ عموم الطريقة الدسوقية المحمدية سماحة السيد الشيخ مختار علي محمد الدسوقي؛ حفظه الله ورعاه.

الذي علمنا حسن الظن بأولياء الله الصالحين ، وبعموم الناس أجمعين، وعلَّمنا –تلامذته– مريديه– ما لم نكن نعلم من الدين القويم ، وهدانا إلى صراط ربنا المستقيم

أهدي لكم هذه الرسالة المتواضعة

فإنما هي جهد المقل

الباحث

فهرس المحتويات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة
المقدمة	١ – ١١
الفصل الأول: الفناء لغة وإصطلاحاً	١٢ – ٤٢
التمهيد	١٢
المبحث الأول : أحوال الفناء.	١٤
المبحث الثاني : الفناء النفسي والتخلق الصوفي	٣٧
الفصل الثاني: تطور حال الفناء حتى القرن الثالث الهجري	٤٣ – ٧٨
المبحث الأول: الفناء في عهد الرسول صل الله عليه واله وسلم والصحابة والتابعين.	٤٣
المبحث الثاني: حال الفناء في القرن الثاني الهجري.	٥٥
المبحث الثالث: حال الفناء في القرن الثالث الهجري.	٦٨
الفصل الثالث: الفناء والتوحيد عند الجنيد	٧٩ – ١٤٩
ترجمة الإمام الجنيد.	٧٩
المبحث الأول: معنى الفناء والحب عند الجنيد.	٨٦
المبحث الثاني : علاقة الفناء بالتصوف عند الجنيد.	٩٤
المبحث الثالث: التوحيد وعلاقته بالفناء عند الجنيد.	١٠٤
المبحث الرابع: موقف الجنيد من الشطحات.	١٢٥

الفصل الرابع: حقيقة الفناء والحلول عند الحلاج	**١٥٠ – ٢١٠**
الحلاج.. التاريخ والثورية والإعدام	**١٥١**
المبحث الأول: الرموز والإشارات في النصوص الحلاجية	**١٥٩**
المبحث الثاني: مفهوم الفناء والتوحيد عند الحلاج في نصوصه النثرية والشعرية	**١٧٢**
المبحث الثالث: الحلول عند الحلاج مجازي وليس حقيقيا	**١٩٣**
المبحث الرابع: أراء المستشرقين في مفهوم الفناء عند الحلاج	**٢٠٤**
الخاتمة	**٢١١ – ٢١٤**
قائمة المصادر والمراجع	**٢١٥ – ٢٢٣**
ملخص الدراسة باللغة العربية	**٢٢٤ – ٢٢٦**
ملخص الدراسة باللغة الإنجليزية	**٢٢٧ – ٢٣٠**

المقدمة

- أهمية البحث
- إشكالية البحث
- المنهج المستخدم في البحث

إن قضية التصوف من القضايا المهمة في التاريخ الإسلامي، وقد عبَّرت عن الحالة الروحية لطائفةٍ من المسلمين عَبرَ فترات زمنيةٍ معينة، الإ إن جهود الباحثين في الوطن العربي لم تتناول جوانب قضية التصوف جميعها لنا، فقضيته أرض خصبة للدراسات المتخصصة وذلك لمحاولة الوقوف على أبعاد بعض جوانبَ قضايا وشيوخ التصوف، الإ إن الكثير من قضايا التصوف لازالت متشابكةً، وتحتاج لبحثٍ عميق لإزالة اللبس والغموض، وإنهاء السِّجال والنقاش حولها– أو حتى الدنو من ذلك– ومن بينها قضايا الاعتدال والشطح و كذلك الفناء الذي لا يزال شغل الناس في أيامنا هذه، بين تكفير وتفسيق وتضليل،ولا يزالون مختلفين.

ومن الملاحظ أن الحركة الروحية في التاريخ الإسلامي طرأت عليها تحولاتُ كثيرة، تمْيز العديد من النقاط الفاصلة التي غيَّرت ملامح الحياة الروحية لدى عدد من الطوائف الإسلامية؛ ومن أهم تلك التحولات الواضحة التي طرأت على الُزهّاد والعَبّاد منذ أوائل القرن الثالث الهجري، الذين عُرفوا آنذاك بالصوفية، وقد اتجهوا إلى الكلام عن معانٍ لم تكن معروفة من قبل؛ فتكلموا عن الأخلاق والنفس، والسلوك، مُحددين طريقاً يترَّقاه السالك فيما يُعرف بالمقامات، وتعتبر الأحوال والمقامات عند الصوفية طريقًا موِّصلة إلى معرفة الله عزَّ وجلَّ، وقد وصفها ابن خلدون في مقدمته بالغاية المطلوبة لتحقيق السعادة "ولا يزال المريد يترَّقى من مقام إلى مقام إلى أن ينتهي إلى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة"[1] .

وقد امتدت مناقشاتهم إلى مواضع عديدة من خلال المقامات والأحوال؛ فقد تناولوا "المعرفة ومناهجها، والتوحيد، والفناء، والاتحاد، والحلول، وأصبحت

١ – عبد الرحمن ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٧٩، ط٣. ص٣٢٨.

لغتهم رمزية خاصة لا يشاركهم فيها سواهم"[1] ولذلك يُمكن القول بأن القرن الثالث يعتبر بداية تَكَوَّن عِلْم التصوُّف بمعناه الدقيق، واكتمال أركانهِ. ومن ملامح هذه البداية أن أصبح التصوف متميزاً عن علم الفقه من ناحية الموضوع والمنهج والغاية، كما يشير إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته قائلاً: "وصار علمُ الشريعة على صِنفين: صِنْفٌ مخصوص بالفقهاء وأهل الفتيا، وهو الأحكام العامة في العبادات والعادات والمعاملات، وصِنْفٌ مخصوص بالقوم [يقصد الصوفية]"[2] فقد كانت تلك الانطلاقة الحقيقية لعلم الصوفية، وتَشَكُّل موضوعاتهِ الرئيسة، التي تَمَّتْ مناقشتُها فيما بينهم، وإن أخذْت صور متعددة بالتعبير والسلوك.

وقد عُرِفَ علمُ الصوفيةُ منذ ذلك العصر وما بعده بتسميات خاصة منها: علم الباطن، وعلم الحقيقة، وعلم الوراثة، وعلم الدراية، في مقابل عِلم الظاهر، وعلم الشريعة، وعلم الدراسة، وعلم الرواية.

وحين يُسَمَّى الصوفية عِلمَهم بعلم الدراية أو الباطن أو ما شابه ذلك من تسميات، فإنهم يميزون بين علمين، علم نظرَّي بالأحكام، وعلمُ عملي بالكيفية والتحقق في تيك الأحكام ذوقًا وسلوكًا، فالأول هو الفقه أو الظاهر، والثاني هو التصوف أو علم الباطن. ويُلاحظُ الباحث في التصوف الإسلامي في القرن الثالث الهجري، أنه أصبح طريقًا للمعرفة بعد أن كان طريقًا للعبادة، ولعل أول من تكلَّم في المعرفة "معروف الكرخي" (٢٠٠هـ)، "وأبو سليمان الداراني" (٢١٥هـ)، "وذو النون المصري" (٢٤٥هـ) وهذا الأخير هو أبرز وأسبق صوفي غلب عليه الكلامُ في المعرفة، كما يصفه كُتاب التراجم. وقد كانت أفكارُ هؤلاء المتعلِّقة بنظرية المعرفة تأتى بلا بساطة فى تعابير الزهاد في القرنين الأول والثاني؛ بل كانت تمثِّل

---

١ – أبو الوفا التفتازاني: مدخل إلى التصوف الإسلامي، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٧٩، د.ط. ص٩٥، وكذلك انظر أبو العلا عفيفي، التصوف:الثورة الروحية في الإسلام، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٦٢، د.ط. ص٩٢..

٢ – ابن خلدون: مرجع سابق، ص ٣٢٩ وما بعدها.

اتجاهَ التصوف، وأقرب إلى منهجٍ أكثر دقَّة وعمقًا، وإن شئت قل هي تحوُّل واضح من الزهد إلى التصوُّف من حيث هو فلسفة أبستمولوجية (معرفية).

يتضح في بواكير التصوف النظري اتجاهان متمايزان، **الأول** يُمَثِّله صوفيةٌ معتدلون في آرائهم، يزنون تصوفَّهم دائمًا بميزان الشريعة، ويَغْلُب على تصوفّهم الطَابُع الأخلاقي، **والثاني** يمثِّله صوفية استسلموا لأحوال الفناء، ونطقوا بعبارات غريبة، عُرفت بالشطحات، وكانت لهم تصورات لعلاقة الإنسان بالله وصَفت بالحلول والاتحاد. ومن أبرز ملامح التحوُّل من الزهد إلى التصوف ظهور الكلام في الفناء عند كثير من صوفية القرن الثالث الهجري بوضوح، – والفناء – يشير عندهم إلى معنًى أخلاقيّ حين يُعرِّفونه بأنَّه فناءُ صفةِ النفس، وهم يقصدون به أيضا فناءَ الإنسان عن إرادته، وبقاءه بإرادة الله، وكذلك الفناء عن رؤية الأغيار، أو بعبارة أخرى الفناء عن شهود الخلق.

ويختلف سلوك الصوفية في حال الفناء، فبعضهم يعود منه إلى حال البقاء، فيثبت الفرق والإثنينية بين الله والعالم، وهو الأكمل بمقياس الشريعة، والبعض الأخر ينطق بقولٍ يُفهم من ظاهره القول بالاتحاد والحلول الذي يظهر من كلامه عدم التفرقة بين الإنسان والله أو بين العالَم والله، ولذلك قيل إن الفناء مزلّة أقدام الرجال، فإما أن يَثْبُتْ الصوفيّ فيه، أو أن تزلّ قَدمهُ فيقول بآراءٍ مخالفِة للشريعة والعقيدة الإسلامية. ويرجع السبب في تلك الآراء المتباينة إلى عدم فهم النصوص الصوفية، والجهل باللغة العربية والمجاز، وعدم تحققهم من لغة القوم. وهذا ما ستكشف عنه أبواب الرسالة.

ومن خلال تناول الصوفية لمفهوم الفناء، يمكن تقسيم صوفية القرن الثالث الهجري إلى فريقين: فريقٌ يتمسك بظاهر الشريعة، فلا ينطق بأقوال مخالفة للشرع، وفريقٌ آخر غلب عليه حاله فنطق بما توَّهم من القول بالحلول والاتحاد ، مما عُد شططًا وشطحًا.

ويُمثل أبو قاسم الجنيد (٢٩٧هـ) الفريق الأول خيرَ تمثيل، فبدا متزنًا يجسد الاعتدال في تناول مفهوم الفناء، وفي التعبير عن حقائق التوحيد، مؤثرًا البقاء على الفناء، والصَّحْوَ على السُّكر، والفرق على الجمع.

على حين يُمَثِّل الفريق الثاني أبو يزيد البسطامّي(٢٦١هـ) والحسين بن منصور الحلاَّج (٣٠٩هـ)، فكلاهما حاد عن الطريق المتزن، وجَسَّد الشَّطح في تناول مفهوم الفناء، وقد غلبت على هذا الفريق أحوال السَّكر والفناء والجمع في حُبهِّم لله، فنطق أصحابُه بعباراتٍ غريبةٍ عُرِفَتْ بالشَّطَحات؛ مما أدى إلى وصفهم بأنهم من أهل الإتحاد بالله، أو أن الله حَلَّ فيهم. ولا شك أن كل فريق له أنصار يدافعون عن مفاهيمه وأفكاره، وقد تأثر بكلا الفريقين عدٌد من الأتباع والمؤيدين واستمر ذلك إلى يومنا هذا.

أهمية البحث :

تكمن أهمية البحث في عدٍد من الجوانب التي يتناولها البحث، حيث يرصد البحث ملامح الاتجاهين، الاتجاه المعتدل ممثلاً له "الجنيد"، والاتجاه الشاطح ممثلاً له "البسطاميّ والحلاج"، ويَسَلَّط البحثُ الضوءَ على مدى تمثيل "الجنيد" للتصوفّ المعتدل، وبعبارة أخرى فإنه: يمثّل تصوف الفقهاء المستند إلى الكتاب والسنة بشكل ظاهر، وإلى أيّ حِدٍ يُمَثِّل الفناء في التوحيد في القرن الثالث الهجري، والتأكيد على أن كلام الجنيد في التوحيد لا يخرج في معناه عن معنى التوحيد عند المتكلمين.

كما يسلّط البحثُ الضوءَ على مدى تمثيل الحلاجّ وأبو يزيد البسطامى للتصوفّ الشاطح، وتمثيلهما التصّوف في عصرهما باعتباره اتجاهًا شاطحًا يخضع أصحابه لأحوال الوجد والفناء، فتصدر عنهم عبارات موهمة ومستشنعة الظاهر في تعبيرهم عن صلة الإنسان بالله، وكيف غلب على "البسطامي" حال الفناء، وكيف تضمَّن الفناءُ عنده فناء الإرادة، و معنى أن أهم ما يتميز به فناءُ "أبي يزيد" هو سقوط ما سوى الله شهودا، بحيث لا يعود الصوفُّي مشاهدًا إلا

حقيقَة واحدًة هي الله ، بل لا يعودُ مشاهدا لنفسه لتلاشى نفسُه مع مشهوده، وهو ما عبَّر عنه بمحِّو الرُّسوم، وفناء الهوية، وغيبة الآثار. كما يذهب البحث إلى تناول مدى تعبير "الحلاَّج" عن أحواله وصفًا وتحليلًا ، ومقارنته "بالبسطامّي" للوصول إلى أن "الحلاَّج" كان بوجهٍ عام في تعبيره عن أحواله أكثر تصريحاً من البسطامّي، كما يوضح البحث مدى تأثره بثقافات أجنبية كالفلسفة الهِّيلينية والأفكار الفارسية والشيعية، والعقائد المسيحية.

كذلك يتطرق البحث إلى تحليل الحلول عند "الحلاّج" ومدى تَضَمُّن الحلول عنده فناء الإرادة الإنسانية تماما في الإرادة الإلهية، بحيث يصبح كل فعل صادر عن الإنسان صادرًا عن الله، ويتحقق البحث – قدر الإمكان؟- من مذهب "الحلاَّج" في الحلول ودِقَّتِه، كما يتحقَّق من التناقضات إن وجدت؟ في مذهب "الحلاَّج"، بمعنى أنه أحيانا يقول بالحلول مع الامتزاج، وأحيانا أخرى ينفي هذا الامتزاج، ويعلن التنزية صراحَة، وذلك للوقوف على حقيقة الحلول عند "الحلاَّج"، وإلى أي حِدٍ يمكن القول إن مذهبه مجازيّ؟، وهل يمكن اعتباره ثمرة وجِدٍ صوفّي لا غير يتم في حالة الفناء في الله عشقًا وهيامًا؟ أو على حِّد تعبيرهِ مجَّرد استهلاكِ الناسوت في اللاهوت، ومدى توافق قوله بالحلول.

يحلِّل البحث آراء "الحلاَّج" من خلال النصوص للوقوف على حقيقةِ موقفهِ، ودرجة تَحُّقق حلول الحلاَّج التي تتم في حال الفناء عن شهود السوى، كما يتوقف البحث عند عبارات "البسطامّي والحلاَّج" ومدى قربها أو بعدها عن الوهم، وهل نطق بها كلٌ منهما وهما في حالة وَجْدٍ غيرِ عادية نتيجة خوض نوع خاص من المعارف؟ بمعنى أن كُلًا منهما في حالة الشَّطح كان مغلوبًا على أمره تماما، لذلك فهو معذور فيما يصدر عنه في هذه الحالة من عبارات.

لذا يحاول البحث تسليط الضوء على تلك النقاط المهمة فيه، التي شكلت نواته الأساسية عبر الفصول والمباحث المختلفة، ويطمح إلى الاقتراب من الحقيقة، معتمدًا على نصوص "الجنيد، والبسطامي، والحلاج"؛ وهي نصوص شديدة الرمزية

في معظمها.إذ يُخبرنا القشيري[١] أنه أصبح للصوفية منذ القرن الثالث الهجري لغة اصطلاحية خاصة فيما بينهم، بحيث يفهمونها هم، ولا يفهمها غيرهم، بل أنها مبهمة على من ليس بصوفيّ؛ لأن هذه اللغة تعبِّر عن أسرار وحقائق ذوقية وهبها الله لهم، وهم يخشون أن تشيَع هذه الحقائق وتلك الأسرار فيمن ليسوا أهلًا لها. ومصنَّفات الجنيد والحلاج هي المصدرُ الأساسّ لهذا البحث، وإن كانت لا تَخْلُ من استشهادات أيضا بقراءات كبار الكُتَّاب لهذه المُصَنَّفات، سواء أكانوا من الصوفية المتقدمين كالطوسيّ والقشيري والشعراني والقاشاني، أو من المستشرقين كماسنيون ونيكولسون، أو من الباحثين المعاصرين كأبي العلا عفيفي والتفتازاني وعبد الرحمن بدوّي وغيرهم.

إشكالية البحث :

يتناول البحث بعض القضايا التساؤلات والإشكاليات محاولاً الإجابة عنها ومن أهمها:

١- قضية تطور المصطلح الصوفي منذ بداية ظهور الإسلام ، وحتى القرن الثالث الهجري، الذي يمثل لنا اكتمال المصطلح الصوفيّ ونضوجهِ، و إلى أى مدى يمكن أن يكون هناك نصوص داعمة لمفاهيم الفناء، والمقام، والشطح في بدايات ظهور الإسلام.

٢- تساؤلات حول: هل يمكن القول أن القرن الثالث الهجري، بداية تكوُّن علم التصُّوف بالمعنى الدقيق؟ وما هي أبرز ملامح هذه البداية؟

٣- إشكالية: أن التصوف أصبح في القرن الثالث الهجري طريقا للمعرفة بعد أن كان طريقا للعبادة؟

---

١ – الرسالة القشيرية ص٣١، وأنظر كذلك المعنى نفسه في "التصوف للكلاباذي" ص٨٨– ص٨٩.

٤- تساؤلات حول: ما هي أبرز معاني الفناء في القرن الثالث الهجري، وإلى أي حدٍ تمثِّل بواكير التصوّف النظري في ذلك العصر؟

٥- وكيف تمثل نصوص الجنيد نموذجًا للاعتدال في تصوّف القرن الثالث الهجري؟ وما هي معايير مذهب الاعتدال عند الجُنيد؟

٦- وكذلك: ما هي حقيقة مذهب الحلاج؟ وهل يصح نسبته للقول بالحلول والاتحاد؟ وهل هو حقيقي أم مجازّي؟ وإلى أي حدٍ يمكن اعتبار الحلاّج نموذجًا للشَّطح في تصوّف القرن الثالث الهجري؟ وما هو مفهوم الشطح ومعاييره؟

٧- هل نجد في نصوص الحلاج ما يشعرنا بالمغايرة بين الله والإنسان؟ واستخدامه المجاز؟ وهل تكشف هذه النصوص عن " الجمع " بين الوجودين؟

المنهج المستخدم في البحث :

يعتمد البحث منهجًا تتعدد أدواته بين التحليل النصّي لنصوص الجنيد والحلاّج، بهدف الوقوف على رؤيتهما الصوفية، وبين منهج "النقد" لبيان مدى تكشُّف رؤيتهما الصوفية عن الاعتدال أو الشَّطح، وكذلك أفاد البحث من منهج "المقارنة" بين وجهتى النظر ليتسنَّى للباحث للوقوف على سلبيات وإيجابيات كلا الوجهتين، ومدى تحقُّق الفناء والشَّطح لكليهما، وبذلك يكون منهج البحث المستخدم المنهج **التحليليّ النقديّ المقارن.**

فصول الرسالة:

تضم الرسالة مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، وثَبتًا بأهمِّ المصادر والمراجع، وتفصيلها

الفصل الأول : الفناء .. لغِة وإصطلاحِا ويتناول تحليلًا مصطلحات الحال، والفناء، والشطح، وتطوَّرها حتى القرن الثالث:

فيقدم الفصل بياناً للفناء والشطح ، مع ذكر للمقامات والأحوال، ويكشف أن لكل قومٍ مصطلحاتٍ اصطلحوا عليها ، وتعاريفًا تعارفوا عليها فيما بينهم، وأن القرن الثالث الهجري – زمن البحث – يمثل قرن النضوج واكتمال المصطلح الصوفيّ، حيث اكتملتْ حدودُه وتعاريفُه وقضاياه في هذا القرن أسوَة بالعلوم الإسلامية مثل: أصول الفقه، وعلم الحديث.

الفصل الثاني: تطور حال الفناء حتى القرن الثالث الهجري، ويتضمن ثلاث مباحث

الأول: الحال والفناء والشَّطح في عهد الرسول صلّى الله عليه وعلى وآله وسلم.

والثاني: حال الفنان فى القرن الثانى الهجرى .

والثالث: حال الفناء في القرن الثالث الهجري الزمن المعنيِّ بالدراسة.

ويكشف هذا الفصل عن مفاهيم الفناء والشَّطح، والأحوال الموجودة في ثنايا النصوص القرآنية والأحاديث النبوّية ، وفي أقوال الصحابة والتابعين، ويحاول أن يقترب من فكرة أن هذه المفاهيم لم تكنْ بِدْعًا من المتصوفين، ولم تأخذ من روافد أجنبية كما يظن المستشرقون، إنَّما هي ألفاظ متداولة في النصوص الإسلامية ، وهي أحوالُ تكتنفهُا الطبائع البشرية، و الرياضات الروحية وهي موجودة بالقوة كوجود علم النحو والعلوم العقلية وأصول الفقه. وكما يشرح تطور حال الفناء في القرن الثاني عند السيدة رابعة العدوية، و كيف تطوَّر حالُ الفناء في الأشعار والأقوال والأحوال، وتطوَّر الشعر الصوفّي في الحبّ والعشق الإلهيّ الذي لم يكن مطروقا في السابق سوى في أشعار النسيب والغزل بين البشر، وانتقاله إلى التغزُّل في الخالق بديلًا عن المخلوقين.

ويدرس المبحث الثالث اكتمال نضوج حال الفناء في القرن الثالث، وكيف اتضَّحت معالمه، واكتملت أركُانه، وهو العصر الذي يمثِّل موضوع الدراسة، وقد